

الفصل الحادي والعشرون

«ستعملين إذا كان الغد يا آمنة، وستعملين عملاً يرضيك كما لم يرضك عمل من قبله قط، لا تذكرى بيت المأمور، ولا تذكرى بيت فلان هذا الذي دفعتك الحماقة فيه إلى هذا الذنب العظيم، ستعملين عملاً مريحاً فيه مال كثير، ونعيم كثير، ومتاع كثير، ستعملين ... ستعملين وستسعين، ليتني كنت مكانك، ليت سني تعود إلى حيث أنت من العمر، ستعملين وستسعين ...!»

قالت ذلك وهي مضطربة أشد الاضطراب، مبتهجة أشد الابتهاج، يدفعها الفرح والمرح إلى أن تأتي حركات مختلطة فيها الرقص والقفز، وفيها الجد والهزل، وفيها الدعابة التي ليس بعدها دعابة، والمجون الذي ليس بعده مجون، حركات على الوجه، وحركات باليدين، وحركات في الجسم كله مجتمعاً وفي أعضائه متفرقة، حركات هي إلى الجنون والاختلاط أدنى منها إلى الفرح المعتدل الذي يصدر عن نفس مرحة وعقل متزن، ولم تكتف زنوبة باضطرابها هي، وإنما انقضت علي انقضاضاً، فقبلتني وأنهضتني وراقصتني ودارت بي حول الغرفة دوراناً متصلاً سريعاً حتى انتهت بي وب نفسها إلى السقوط، كل ذلك وهي مندفعة في حركاتها وأحاديثها، لا تمكنني من أن أقول كلمة أو أنطق بحرف أو آتي من الحركات غير ما تريد، قد استحالت إلى جنينة وأصبحت الغرفة ميداناً لاضطرابها المختلط الذي لم يقف ولم يهدأ إلا حين أسقطها الدوار وأسقطني معها على الأرض وحين أفاقته منه بعد قليل ...

هنالك استطاعت أن تتكلم كلام العاقلة، واستطعت أن أسمع لها وأن أفهم عنها، فعلمت أن المهندس في حاجة إلى خادم، وأنه قد أرسل يتقدم إليها في أن تلتمس له هذه الخادم، وأنه يمنحها على ذلك أجراً يختلف باختلاف الخادم التي تقودها إليه مع الصباح إذا كان الغد، وهي مبتهجة لي وهي مبتهجة لنفسها؛ فما أكثر ما قدمت لهذا